ما أهمية معمودية الماء؟

بقلم: ميلاني ستون
ترجمة: صبحي شفيق نصرالله

إذا كنت لا تفهم معنى معمودية الماء، فأنت لست وحدك! إن الوقوف في حوض ماء بجانب شخص يستعد لغمرك (تغطيسك) فيه ليس أمراً يفعله معظم الناس يومياً. بعض الناس يعتمدون في الماء لمجرد أن هذا ما قال الواعظ أنه يجب القيام به. والبعض الآخر يعتمدون في الماء لأن أناساً آخرين يفعلون ذلك. ومع ذلك، عندما تفهم أهمية معمودية الماء، فإن قرارك بأن تعتمد يمكن أن يكون عميقاً.

إن معمودية الماء هي رمز لخلاصنا بيسوع المسيح. خلاصنا يشمل الحياة الأبدية؛ ويشمل أيضاً سلامة الروح والنفس والجسد. خلاصنا يشمل سلامة العقل والعواطف، والسلام في الاضطرابات (الضيقات)، والشفاء الجسدي، والإعالة المالية، والتحرر من القيود، هذه على سبيل المثال لا الحصر. إن معمودية الماء ليست مجرد تجربة طبيعية؛ بل يمكن أن تكون تجربة روحية معجزية.

لديّ صديقٌ قسٌّيس كان يعاني من مرض جلدي عندما تعمّد في الماء. وعندما خرج من الماء، كان جلده قد شُفي على الفور وبطريقةٍ معجزية! لقد اختفى الطفح الجلدي، الذي كان يعاني منه، تماماً!

من أين بدأ كل شيء؟

نقرأ عن معمودية الماء في العهد الجديد، بدءاً من يوحنا المعمدان، النبي الذي تنبأ عن خدمة يسوع المسيح القادمة. ومع ذلك، لم يكن التغطيس في الماء غريباً على الشعب اليهودي قبل ذلك الحين. فقبل مجيء المسيح على الأرض، كان اليهود يُغطّسون يهوداً آخرين في الماء [لكي يطهرونهم] من أجل أوقات التطهير أو لكي يتم تحويل الشخص إلى [الديانة] اليهودية[1].

عندما بدأ يوحنا المعمدان خدمته، كان يدعو اليهود إلى التغطيس في الماء، ولكن لسببٍ مختلف. لقد كان يوحنا يبشّر برسالة التوبة استعداداً للمسيا الآتي. وكان هذا أمراً جللاً (مهمًا) بالنسبة لليهود. ففي ذلك الوقت، كانوا تحت حكم الرومان. وكان المسيا هو الذي وُعِدَ به ليخلص (يحرر) إسرائيل من الاضطهاد ويحكمهم كملك لهم. كان يوحنا يبشر بأن الوقت قد حان للاستعداد لمجيء ملكهم الموعود به (اقرأ متى ٣: ١٣-١٧).

[1] تيڤيله هي الكلمة العبرية التي تصف الغمر (أو التغطيس) في مصدر طبيعي للمياه من أجل التطهير أو التحول الديني. في العصور القديمة، كان يتم استخدام النهر، ولكن في وقت لاحق تم استخدام الميكفه، وهي بركة مبنية خصيصًا لهذا الغرض.

خرج يسوع إلى يوحنا ليعتمد في الماء. تعرّف يوحنا على يسوع وعرّفه أنه المسيا. امتنع يوحنا عن تعميد يسوع، قائلاً أنه هو الذي كان يحتاج إلى أن يعتمد من يسوع. أجاب يسوع، "اسْمَحِ الآن، لأَنَّهُ هَكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرٍّ." هذا يُصوّر الموت الذي كان يسوع سيموته من أجلنا. وعندما عمّد يوحنا يسوع، أكّد الله أن يسوع هو المسيا بأنه فتح السماوات، وارسل الروح القدس، وأسمع الناس صوته قائلاً، "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ." تخيّل أنك كنت على ضفة نهر الأردن في ذلك اليوم! لو كنت يهودياً، لكان لهذا الحدث أهمية عظيمة لك! فهذا هو المسيا الخاص بك [مسيحك]!

لم يكن يوحنا هو الوحيد الذي عمّد اليهود للتوبة. فنحن نقرأ في يوحنا ٤: ١ أن تلاميذ يسوع كانوا أيضاً يُعمّدون في الماء. يقول الكتاب المقدس أنهم كانوا يُعمّدون أعداداً من الناس أَكْثَرَ مِن يُوحَنَّا المعمدان. لقد كانت هذه حركةً حقيقية قبل بدء خدمة يسوع، وهي تهيئة للناس ليقبلوا خدمة المسيح الأرضية بالتوبة.

الاعتراف العلني

بعد أن قام المسيح من القبر، أوصى أتباعه أن يتلمذوا ويعمّدوا الناس الذين يؤمنون به (المهتدين الجدد). ونحن نُشير إلى هذه الآيات بـ"المأمورية (أو الرسالة) العظمى."

> متى ٢٨: ١٨-٢٠ فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلاً، "دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ ١٩ فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالاِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. ٢٠ وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ." آمِينَ.

أصبحت معمودية الماء اعترافاً علنياً بخلاصنا (أي إعلاناً عنه). إنها تمثل كيف نتشبّه بالمسيح في موته ودفنه وقيامته. ولقد كانت الممارسة العامة هي أن يُعتمد المرء بعد قبوله الإيمان مباشرة؛ ومع ذلك، فإن التوقيت ليس شرطاً.

هناك أمثلة عديدة على معمودية الماء في العهد الجديد. أحد الأمثلة من الكتاب المقدس هو عندما بشّر بطرس اليهود بالخلاص بيسوع، فخلص ثلاثة آلاف [شخص]. قال بطرس في أعمال ٢: ٣٨، "تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ." وتقول الآية ٤١، "فَقَبِلُوا كَلاَمَهُ بِفَرَحٍ وَاعْتَمَدُوا وَانْضَمَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ نَفْسٍ."

وهناك أمثلة أخرى تشمل تعميد فِيلُبُّس للناس بعد أن بشّر بالخلاص في السامرة (أعمال ٨: ١٢) وللخصي في الآية ٣٨. وقد اعتمد بولس على يد حنانيا في أعمال ٩: ١٨ (وأعمال ٢٢: ١٦). وعمّد بطرس الأمم في أعمال ١٠: ٤٧-٤٨. واعْتَمَدَتْ ليديا في فيلبي في أعمال ١٦: ١٥. وَاعْتَمَد سجان فيلبي في أعمال ١٦: ٣٣. كما أن كِرِيسْبُسُ، رئيس المجمع اليهودي، قَبِل المسيح وَاعْتَمَد هو وعائلته في أعمال ١٨: ٨. ونقرأ في أعمال ١٩ عن مؤمنين [آخرين] اعْتَمَدوا في الماء.

بعض الأمثلة توضح لنا أن الناس اعْتَمَدوا في الماء فوراً [بعد الإيمان مباشرةً]، بينما اعْتَمَد بعضهم الآخر في وقت لاحق. وفيما يلي بعض الأمثلة على كيفية رؤيتنا لحصول الناس على معمودية الماء اليوم:

١. البعض يعتمدون بالماء بعد نوالهم الخلاص مباشرة.

٢. البعض يعتمدون في وقت لاحق عندما يفهمون المعمودية بشكل أفضل.

٣. قد يكون آخرون قد تعمّدوا بالماء قبل أن يستوعبوا التجربة بشكل كامل، لذا يتعمّدون مرة أخرى.

٤. البعض تعمّدوا أو رُشّوا بالماء في طفولتهم، لكنهم لم يولدوا ثانيةً إلا في وقت لاحق من حياتهم، فيتعمّدون في الماء عند قبولهم للإيمان.

٥. هناك أيضًا أولئك الذين قد عرفوا الرب، لكنهم ارتدّوا عنه (سقطوا). فيقررون أن يتعمّدوا في الماء عندما يعيدون تكريس حياتهم لله من جديد.

٦. وآخرون فقط يشعرون بتحفيز الروح القدس والرغبة في الطاعة بالمشاركة في معمودية الماء التلقائية كتجديد لتسليمهم للرب.

هناك أناس قد يختلفون مع بعض الأسباب المذكورة أعلاه، ولكن لا يوجد في الكتاب المقدس ما يمنع أياً منها. ما دام الإنسان يفهم أن خلاصه قد اكتمل وانتهى في اللحظة التي يقبل فيها المسيح، فإنه يعلم أن التغطيس في الماء لا يغير ذلك. التغطيس في الماء هو ببساطة إعلان عن تسليمه [للرب] واحتفاله بخلاصه.

ما يحدث في قلوبنا يجب أن يدفعنا للاعتراف علناً بإيماننا. في إنجيل متى ١٠، يحثنا يسوع على أن نجعل نورنا يضيء ونُخبر العالم عن إيماننا به.

يقول متى ١٠: ٣٢-٣٣، "٣٢) فَكُلُّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِي قُدَّامَ النَّاسِ أَعْتَرِفُ أَنَا أَيْضاً بِهِ قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. ٣٣) وَلَكِنْ مَنْ يُنْكِرُنِي قُدَّامَ النَّاسِ أُنْكِرُهُ أَنَا أَيْضاً قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ."

جزء من تسليمنا للرب هو إخبار الآخرين عنه. إن الطاعة للتماهي مع المسيح (أي التشبه به) في معمودية الماء لها أهمية، وأنا أشجعك على المبادرة بالقيام بذلك. ومع ذلك، فإنك لن تفقد خلاصك إذا لم تُعلن إيمانك علناً من خلال معمودية الماء أو من خلال التوجه إلى المذبح أو من خلال الصياح في زوايا الشوارع بأنك مؤمن. عندما تنال الخلاص، سوف ترغب بمشاركة الخلاص مع شخص آخر، ويمكنك مشاركة المسيح [مع الآخرين] بطرق مختلفة. لا تعش في خوف من أن تفقد خلاصك أو أن يُنكرك المسيح إذا لم يتم تعميدك في الماء.

معمودية الماء هي تعبير خارجي عن عمل داخلي.

إن معمودية الماء لها معنى لخلاصنا، لكنها ليست جوهر خلاصنا. إنها علامة على خلاصنا. الماء لا يُخلصك؛ يسوع هو الذي يُخلصك. النزول (التغطيس) تحت الماء لن يُغير قلبك. إذا نزل شخص ما تحت الماء دون أن يكون قلبه قد تغير، فإن هذا الشخص لم ينل الخلاص؛ لكنه قد تبلل فقط!

الخلاص يأتي بقبول المغفرة من خلال المسيح والاستسلام لربوبيته (سيادته). أن تُرشّ بالماء وأنت طفل رضيع لن يُخلصك. وأن تُكرّسَ للرب بواسطة والديك لا يُخلصك. تغيير القلب لا يحدث فيك بسبب حياة والديك. إن الخلاص هو قرار يجب على كل شخص أن يتخذه بنفسه.

علاوة على ذلك، لا يمكننا أن نخلص عن طريق القيام بالأعمال الدينية، مثل الذهاب إلى الكنيسة، أو قراءة الكتاب المقدس، أو الحصول على معمودية الماء! الخلاص هو عملٌ داخلي. أما المعمودية في الماء فهي تعبيرٌ خارجي عما قد حدث في داخل قلوبنا.

قد يكون هذا التعبير الخارجي ذا معنى أيضاً كإعلانٍ عما يفعله المسيح في قلوبنا في وقت لاحق في الحياة. أنا تعمّدتُ في الماء لأول مرة وأنا في التاسعة من عمري. لقد قبلتُ المسيح في سنٍّ مبكرة جداً، وفهمتُ أن المعمودية في الماء هي وسيلةٌ لمشاركة خلاصي مع الآخرين. ومع تقدمي في السن، تعمّقت علاقتي بالمسيح بعد أن تعلّمتُ المزيد عن الروح القدس. جاء الروح القدس إليّ وكشف لي معنىً أعمق للآيات الكتابية التي في رومية عن تسليم حياتي للرب. كان الروح القدس هو الذي قادني إلى المعمودية في الماء مرة أخرى عندما كنت في سن المراهقة. لقد حصلتُ على إعلان جديد عن محبة الله لي، وكان يطلب مني أن أكرّس حياتي له، فأعطيته حياتي بدافع الحب. وتعمّدتُ في الماء مرة أخرى في كنيسة الكتاب المقدس المسيحية المنفتحة في دايتون، أوهايو، وكانت لحظة لا تُنسى بيني وبين ربي.

التشبه بالمسيح

الآيات التي أحياها الروح القدس فيّ موجودة في رومية ٦. هنا، وضّح الرسول بولس المعمودية في الماء بالمقارنة مع موت يسوع المسيح ودفنه وقيامته. وهذا أمرٌ يجب أن يكون شخصياً لكلٍّ واحد منا، تسليم طوعيٌّ لمحبةٍ لا مثيل لها. أبونا يحبنا ويدعونا إلى علاقةٍ معه (اقرأ رومية ٦).

دعونا نتذكر أن يسوع جاء ليتشبه بنا في خطيئتنا حتى نتمكن نحن من التشبه به في حياته. لقد دخل العالم بطريقة مشابهة لدخولنا. وُلد من امرأة. اختار أن يترك مجد محضر الله ليصبح إنساناً لكي يمكنه أن يتشبه بنا. عاش على الأرض ليشاركنا التجربة الإنسانية. لقد تعرّف على صراعاتنا، وعالمنا، وموتنا - بموته بدلاً منا. تقول رسالة العبرانيين ٤: ١٥، "لأَنْ لَيْسَ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ." إن خلاصنا هو عندما نتعرف به، وبحياته، وقيامته، ونختبر الروح القدس.

<u>عندما ننزل تحت الماء</u>

عندما نُغَطّس تحت الماء نتشبه بموت يسوع. فهذا يمثل تضحيته بتقديم حياته طوعاً من خلال موته على الصليب. ولحسن الحظ، لسنا مضطرين للموت على الصليب لأن يسوع فعل ذلك نيابةً عنا. ومع ذلك، فإننا نموت عن أنفسنا كما فعل يسوع عندما أخذ مكاننا، وهو يصلي، "لتكن لا مشيئتي بل مشيئتك." إن الغطس في الماء يُجسّد امتثالنا لموته بتسليم حياتنا لربوبيته (سيادته).

الخلاص لا يأتي من أعمال صالحة أو من تلاوة الصلاة. الاهتداء [للإيمان] يأتي من ثقة الإيمان، ووضع أنفسنا في موضع الاعتماد على الله من خلال المسيح.

كولوسي ٢: ١٢ "مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا اقِمْتُمْ ايْضاً مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الَّذِي اقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ."

رومية ١٠: ٩، ١٠ "٩) لأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ خَلَصْتَ. ١٠) لأَنَّ الْقَلْبَ يُؤْمَنُ بِهِ لِلْبِرِّ وَالْفَمَ يُعْتَرَفُ بِهِ لِلْخَلاَصِ."

إن قرار الموت ليس قراراً مؤقتاً. إنه قرار بتسليم المسيح بقية حياتنا، كلها. لقد اشترانا بثمن، فلم نعد ملكاً لأنفسنا. وهكذا، فالموت هو نهاية، نهاية للذات. والنتيجة لموتنا هي حياة التسليم اليومي لربنا.

وأيضاً الماء الحي أو الماء الجاري، كالنهر، يُجسّد التطهير من الخطيئة. ومع أن المعمودية في الماء الجاري ليست شرطاً، إلا أننا لا نريد أن نفقد أهميتها المرتبطة بالغفران المُطهِر الذي يقدمه لنا المسيح.

إشعياء ١: ١٨ "هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ يَقُولُ الرَّبُّ. إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقِرْمِزِ تَبْيَضُّ كَالثَّلْجِ. إِنْ كَانَتْ حَمْرَاءَ كَالدُّودِيِّ تَصِيرُ كَالصُّوفِ."

<u>عندما نصعد من الماء</u>

عندما نصعد من الماء [بعد التغطيس] نتشبه بحياة المسيح. فإن يسوع لم يبقَ ميتاً أو لم يبقَ في القبر. بمجرد أن دُفِعَ ثمن الخطيئة، استطاع الله أن يقيم يسوع من بين الأموات. وعندما نصعد نحن من الماء، فإن ذلك يرمز إلى الحياة الجديدة التي ننعم بها في المسيح. فنحن لم نتشبه بموته فقط، بل أيضاً جُعلنا أحياءً معه.

٢ كورنثوس ٥: ١٧ "إِذاً إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً."

رومية ٦: ٥ "لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ نَصِيرُ أَيْضاً بِقِيَامَتِهِ."

رومية ٨: ١٠، ١١ "وَإِنْ كَانَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ فَالْجَسَدُ مَيِّتٌ بِسَبَبِ الْخَطِيَّةِ وَأَمَّا الرُّوحُ فَحَيَاةٌ بِسَبَبِ الْبِرِّ. وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَاكِناً فِيكُمْ فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيْضاً بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ."

اقرأ أفسس ٢: ١-١٠

أفسس ٢: ١ "وَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتاً بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، ... أَحْيَاكُمْ."

أفسس ٢: ٥ "وَنَحْنُ [الذين كنا] أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ (بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ)."

أفسس ٢: ٦ "وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ."

العهد مع الله

الخطيئة فصلتنا عن الاتحاد بالله، [أي عن] حياتنا. ولم يكن بإمكاننا تحقيق طريق المصالحة مع الله والدخول مرة أخرى في ذلك الاتحاد بمفردنا. لقد كنا خارج نطاق (مجال) الله. كان من المستحيل علينا أن نتحد مع الله مرة أخرى لأننا كنا جميعاً مذنبين. جاء يسوع ليكون واحداً منا ويموت موتنا. عندما نسلم [حياتنا] للمسيح، ندخل في اتحاد معه. وباتحادنا بالمسيح، ومع المسيح، يمكننا أن نتصالح مع الله.

كولوسي ٣: ٣ لأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللهِ.

من خلال اتحادنا [معه] بالعهد نستطيع أن نعرف الله، وأنا أقصد أننا نستطيع أن نعرف الله حقاً. ونستطيع أن نختبره، ونختبر حياته، وقدرته، ومحبته، ومسحته، وشفاءه، وعنايته (تدبيره)، وخلاصه! إن معمودية الماء تمثل نهاية طُرُقنا وحياتنا الجديدة بالاتحاد معه.

إذا كنت ترغب في أن تُعمّد في الماء، من فضلك تحدث مع قادة كنيستك المحلية لإبلاغهم برغبتك. والرب يباركك!